الكتاب الجديد

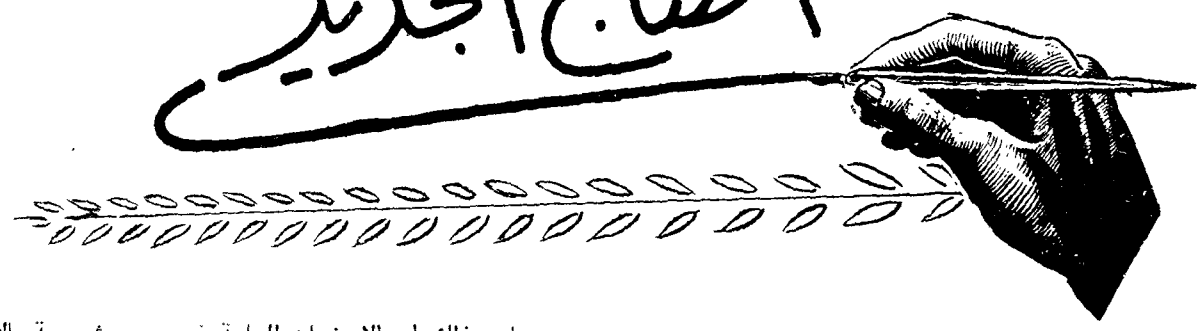

في ازمة الثقافة المصرية

دراسة بقلم رجاء النقاش

منشورات دار الآداب ـ بيروت

*

منذ الحرب العالمية الثانية(*) واجهت الثقافة العربية،ولا تزال تواجه ، عهدا جديدا من حياتها يتسم بطابع النزوع الى التحرر من التقليد ، ومحاولة خلق قسمات مستقلة تبرز شخصية هذه الثقافة متميزة الملامح والخطوط .

ولا شك في ان هذه السنوات القلائل التي تنتظم هذا العهد الجديد تحتاج الى مثلها قبل ان نستطيع الحكم على هذه الملامح والخطوط ، ذلك ان هذا العهد هو عهد انتقال وتلمس وتمخض ، وان التيارات الثقافية التي تضطرب فيه ما تزال في صراع وتنافس شديدين . ومرجع ذلك هو من غير ريب ارتباط هذه الثقافة ارتباطا اشد واوثق من السابق بالوضع العام للوطن العربي في ابعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهذه هي الخصيصة الجديدة التي تميز هذه المرحلة من الثقافة العربية عن جميع المراحل السابقة منذ عهد النهضة . فقد كانت تلك المراحل ضعيفة الصلة بالاوضاع العامة التي تكيف البناء الحضاري الى حد بعيد ، ولهذا برزت تلك الفجوة العميقة بين الثقافة والحياة اجمالا . وبدا ان اكبر هم للمرحلة الجديدة في الثقافة هو ان تملأ هذه الفجوة وتجعل العلاقة بين الفكر والحياة علاقة تفاعل عميق متصل .

والواقع انه ليس اعسر ولا اشق من التأريخ لهذه الفترة الانتقالية التي تمهد لانبثاق فكر عربي جديد يسهم اسهاما فعالا في خلق الحضارة العربية الجديدة . فان تعقد الصراع بين التيارات ، وتلمس الصلات والعلائق بين معطيات الحياة ومظاهر الثقافة ، وتحليل الآثار عبر ارتباطها بالمجتمع ، ان ذلك كله يقتضي جهدا وصبرا لا يحتملهما الا القليل .

واذا كان هذا الكتاب يتحدث «في ازمة الثقافة المصرية» فهو في الوقت نفسه يتحدث في ازمة الثقافة العربية عموما . ذلك ان الاوضاع العامة في مصر شبيهة بالاوضاع العامة في سائر البلاد العربية اذا نظرنا الى حالة الشعب العربي في كل مكان . ولئن كان المجرى السياسي في جزء من هذه البلاد يختلف عنه في جزء آخر ، وكان الوضع الاقتصادي متفاوتا بين هذه الاجزاء ، وكذلك الوضع الاجتماعي، فان هناك عاملا هاما جدا يشترك فيه الشعب العربي كله ، على اختلاف مواطنه وتباعدها ، هو الوعي . ولا شك في ان هذا الوعي هو الذي سيزيل عاجلا او آجلا هذه الفروق ، ويصهر تلك الاختلافات ، ويوحد الاتجاهات الفكرية والمصادر الثقافية .

فلا مفر لنا من الاعتراف اذن بان من يؤرخ لهذه الفترة من حياة الثقافة المصرية ، يؤرخ الى حد بعيد للثقافة السورية واللبنانية والعراقية وسواها من الثقافات التي شاركت في بعث النهضة وتعرضت جميعا لمؤثرات متشابهة طوال قرن من الزمن . ولهذا نحب ان نرى في هذا الكتاب الصغير رصدا لمظاهر الحياة الادبية في الوطن العربي كله ، بالرغم من ان اهتمامه ينصب على الاوضاع والمؤسسات في مصر وحدها . وقد نخالف في هذا رأي المؤلف الذي يعبر عنه في « التمهيد » .

ولكن المؤلف يرصد، في الواقع، الاتجاهات الكبرى للثقافة، من غير ان يقف على الظواهر الفردية ، الا اذا شاء ان يربطها بهذه الاتجاهات الكبرى التي نلمحها في كل انتاج ادبي في مختلف البلدان العربية . فهو مثلا يتحدث حديثا طويلا عن القوى التي كانت تؤخر تطور الشعب المصري وتمسكه دون الانطلاق فيردها الى ثلاث:المستعمر والسراي والاقطاع. واذا تأملنا الاوضاع في سائر البلاد العربية ، استطعنا ان نجد هذه القوى الثلاث قائمة في كل مكان تحطم عجلة الوعي والتطور . وفي الكتاب حديث عن « المخدرات الفكرية » ، وهي مخدرات لا تقتصر على مصر وحدها بل تمتد ايدي اخطبوطها الى كل بلد عربي . فلسنا نخطيء اذن حين نجد في هذا الكتاب القيم تخطيطا واضحا للاوضاع الثقافية في مختلف الاقطار العربية .

وميزة هذه الابحاث جميعا تكمن في انها لا تبحث القضية الثقافية الا من خلال القضية الاجتماعية بكل ابعادها ، ولاسيما البعد الاقتصادي الذي يرتبط بقيمة عظمى في

(*) بهذه الكلمة قدم الدكتور سهيل ادريس لكتاب « في ازمة الثقافة المصرية » الذي صدر عن « دار الآداب » اخيرا .

مصر . والمؤلف يتبدى في ذلك مؤرخا ادبيا من الطراز الاول ، اذ هو يرصد الحياة الفكرية بكل ينابيعها وكل روافدها ، ولا يهمل اي عامل يمكن ان يخلف اثرا في مجرى هذه الحياة . وهو اذ يعلق اكبر الاهمية على العامل السياسي في تطور الثقافة ، فانما يسجل واقعا حساسا في حياة الشعب العربي الذي يستقطب اليوم كل همومه وشواغله في تحرير وطنه سياسيا واقتصاديا . وهو اذ يلح على مسؤولية الكاتب في توعية الشعب ، وعلى تحمله تبعة البناء على قدم المساواة مع السياسي المخلص ، فانما ينص على المهمة النبيلة التي لا يمكن لاي مفكر يعيش قضية وطنه ان يتخلى عنها .

والى جانب ذلك ، يبدو الاستاذ رجاء النقاش محللا اجتماعيا وناقدا ادبيا عميق الثقافة واسع الافق . فهو اذا تناول كتابا بالدراسة ، لا يكون قصاراه ان يعدد محاسنه ومساوئه ، وانما يحاول ان يقيّمه بالنسبة لعصره ويدرس تأثره وتأثيره في المجتمع . وبوسع القاريء ان يرى ذلك في حديثه عن ديوان من الشعر الشعبي لصلاح جاهين . فهو قد بدأ البحث بحديث عن الشعر الشعبي اجمالا ليستطيع ان يموضع هذا الديوان فيه ، ثم درس اصوله وامتداداته ، وهكذا اعطانا فكرة واضحة عن قيمة الكتاب، واتاح لنا فرصة دراسة الشعر الشعبي بالاجمال . وهذا ما ينحو بالنقد الادبي منحاه الصحيح اذ يجنبه ان يكون من الادب الطفيلي ويجعله فنا خاصا بذاته لا يقل اهمية عن الفن الذي يتناوله بالدراسة .

ولعل من اهم ميزات هذا الكتاب جرأته في تناول المؤسسات الاجتماعية والثقافية بالنقد والتحليل ، من غير محاباة او تملق او رياء . وفي هذه الفصول ثلاثة امثلة بارزة : اولها الحديث عن «الازهر» وتأثيره في مجرى الحياة الفكرية واقتراحاته في اصلاح الدراسة فيه ، خصوصا بالغاء التعليم قبل الجامعي في فروعه ، وثانيها الانتقاد الشديد اللاذع لمؤسسة فرانكلين وسواها من المؤسسات التي تحاول تشويه الثقافة العربية وتوجيهها توجيها منافيا للمصلحة القومية ، وثالثها الهجوم العنيف على دار « اخبار اليوم » المصرية . فان من يعرف مدى تأثير هذه المؤسسات الثلاث في حياة عدد كبير من المؤلفين والكتاب ، يدرك الجرأة التي تدرع بها المؤلف في توجيه النقد الشديد لها .

وبعد ، فيسعد « دار الآداب » ان تقدم هذا الكتاب الصغير الكبير الاهمية الذي يعطي القاريء خير نموذج للدراسة الادبية التاريخية النقدية ، والذي سيكون من غير شك خير مرجع لتأريخ هذه الفترة الاخيرة من حياة الفكر العربي عامة ، والمصري خاصة .

سهيل ادريس

حضارة في طريق الزوال

تأليف انيس فريحة

منشورات كلية العلوم والاداب بالجامعة الامريكية ـ ٢٧٧ ص

★

لعل أشد ما تفتقر اليه المكتبة العربية الدراسات العلميه الاجتماعية للبيئة العربية . فقد أتخمت هذه المكتبة بالابحاث القومية والسياسية ، كما انها اصبحت زاخرة بصور من التفكير القومي المشوب بآثار من العاطفةوالخيال. في حين ان معظم المشاكل التي عولجت او عرفت حتى الان ، فضلا عن المشاكل التي حال التفكير العاطفي دون كشفها ، لا يتسنى وضع الحلول الناجعة لها الا على اساس من الدرس العلمي المجرد ، والمبني بصورة خاصة على قواعد علم الاجتماع .

ذلك لان المجتمع العربي يواجه اليوم مواقف حاسمة تتعلق بمصيره ، في الوقت الذي يحمل آثارا جمة من مساوىء ماضيه القريب ، كما يحيا في حاضره تجارب واختبارات لا يجوز معها اهمال الاسس العلمية لأيتوجيه اصلاحي.

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

تلفون ٢٧٦٨٢ ـ ص.ب. ٦٥٦

من لا شيء	**خليل رامز سركيس**
حنكشيات	**نجيب حنكش**
ذات العماد	**امين نخله**
بين الخلفاء والخلعاء	**صلاح الدين المنجد**
صوت من لبنان	**اسعد الخياط**
حقيقة اخوان الصفاء	**عارف تامر**
على الطائر	**مارون عبود**
الحي اللاتيني (ط ٢)	**سهيل ادريس**
كنت في سيبيريا والصين	**جورج حنا**
مم وزين	**احمد الخاني**
تاريخ الادب الروسي	**مارسيل اهرار**
اغاني افريقيا	**محمد الفيتوري**
العرب قبل الاسلام	**جرجي زيدان**
تاريخ ادب اللغة العربية	**جرجي زيدان**
مصادر الشعر الجاهلي	**ناصر الدين اسد**

وبوسعنا اعتبار هذا الكتاب من الكتب الضرورية التي يحتاج اليها الفكر العربي الباحث . وهو في الواقع من أثمن ما يقدم الى طلبة علم الاجتماع في بلادنا . والكتاب لا يمثل دراسة بالمعنى العميق للدراسة ، من حيث البحث والتحليل والمناقشة والاستنتاج ، وانما قوامه الوصف : فهو يقدم صورة دقيقة مفصلة صادقة لشؤون محلية من المجتمع الذي يتناوله ، ولذا فهو مادة غزيرة يجد فيها طالب علم الاجتماع ثروة يبني عليها بحثه وتحليله ، ولعله اول كتاب عربي يظهر في هذا الباب .

في هذا المعنى تتركز القيمة الاساسية لهذا الكتاب : ولأحدد كلامي بأنه كتاب فريد في وصفه « للفولكلور » في القرية اللبنانية . و « الفولكلور » كما يفيد المعنى اللفظي لهذه الكلمة الانكلو سكسونية هو معارف الشعب ،ويشمل حسب شرح المؤلف « جميع المعارف البدائية والعادات والتقاليد والسجايا والمعتقدات والاساطير والخرافات والاقاصيص والامثال والشعر العامي والالعاب والمسليات والاعياد والحفلات والمواسم التي هي خارج نطاقه المعترف به رسميا من قبل المؤسسات الرسمية : الكنيسة ، والمعبد، والمدرسة ، والنادي العلمي والاجتماعي ، والصحافة الادبية الرصينة ، والمجلات العلمية ، وخلافها من المؤسسات التي تعنى بالمعارف والعلوم والفنون المنظمة التي اشترك في خلقها اصحاب العقول والمواهب والفلاسفة والمصلحون الدينيون والمؤرخون الحاذقون » .

وعلى ضوء هذا المعنى يسهب المؤلف في وصف مجالي الفولكلور في القرية اللبنانية في دقة بالغة وأسلوب ممتع يستدرج القارىء استدراجا ، كما يقرن وصفه الادبي برسوم موفقة بحيث يعطي القارىء صورا واضحة ناطقة للبيئة القروية وللفئة الاجتماعية التي يتناولها الكتاب وهي سكان القرى بلبنان .

على أنه يتضح من هذا المعنى ان ما يتناوله الكاتب ليس الا جانبا من حضارة ، او قل جانبا حضاريا على الاصح . فبازاء معارف العامة تقوم معارف الخاصة . ومن اتحاد المجموعتين كليهما لهذه المعارف يتكون الوجه الحضاري لشعب من الشعوب . ولا نقول حضارة هذا الشعب ،لانه لم يصادف ان وجدنا ان لكل شعب من الشعوب حضارة معينة خاصة به ، وانما ثبت ان التاريخ لم يعرف لجميع شعوب الارض اكثر من ثماني حضارات بالمعنى الدقيق هي حسب تحديد « اشبنجلر » الحضارات المصرية والبابلية والهندية والصينية والقديمة (اليونانية الرومانية) والعربية والمكسيكية والغربية .

صحيح أن الحضارة كما يلاحظ المؤلف ليست العلوم والمعارف ، ولكن هذه منها ، وصحيح ان الحضارة ليست على حد قوله هي الآلة ، او « الصنع والبناء والعمران » بل يفيض مدلولها عن هذه المفاهيم . ولكن هذا لا يعني جواز استثناء هذه المفاهيم واخراج العلوم من مدلول الحضارة .

ولئن اخذنا برأي المؤلف بضرورة اطلاق لفظة الحضارة على الناحية الروحية من المدنية (ص ١٠) ، فان ذلك لا ينسجم مع موقفه من جعل « الفولكلور » ممثلا للحضارة، لان « الفولكلور » ليس هو بالجانب الروحي من المدنية وان كان يلتقي به ، وانما يشمل الجانب الروحي جميع المؤسسات وخصوصا منها ما يتعلق بالفكر والعلم ونحوهما.

لذا فاني اعتقد ان في عنوان الكتاب شيئا من التجاوز . وهو تجاوز لا يتفق والروح العلمية التي احب المؤلف ان يضفيها على مباحث الكتاب . ووجه التجاوز الذي يلمسه القارىء يقوم على اعتبارين : اولا ، ان الكتاب يتناول « الفولكلور » فقط ، فهو اذا لا يتناول حضارة ما . وانما يتناول وجها حضاريا ، ثانيا ، ان « الفولكلور » الذي يعالجه الكتاب يختص بالقرية اللبنانية وحدها ، اي أنه يتناول جزءا من شعب ولا يتناول شعبا بكامله ، وهذا مع العلم بأن الشعوب كلها ليست بذات حضارات خاصة بها .

وقد نقول ان هذا التجاوز جائز بدعوى ما قد يتطلبه العنوان احيانا من المعاني الادبية الجذابة . ولكن المؤلف يقرن في العنوان لفظة « حضارة » بعبارة « في طريق الزوال » ، فمعنى هذه العبارة يفيد تحديدا قاطعا ، اذ أن

صدر حديثا

منزل الاموات

لرائد قصاصي العالم ـ دستويفسكي

شامخة القصص الروسي التي تجسد فيها فن امير القصص في العالم . سرد حي فذ ، لاعظم اختبار واقعي اتيح لعبقري فنان ان يحياه . لوحات رائعة مثيرة التعبير ، تجعلك تشارك بطلها زفرات آلامهم ورعشات آمالهم .

اطلبه من جميع المكتبات في العالم العربي ومن الناشر

دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

(٤٠٠) صفحة من الحجم الكبير ـ الثمن (٤٠٠) ق. ل.

«الزوال » يشير اشارة واضحة الى أن موضوع الكتاب هو « حضارة بالمعنى الكامل ذات خصائص معينة مميزة»، خصوصا وأن ما سماه « بالفضائل اللبنانية » (ص ١٠ و ١١) واعتبره مادة الحضارة المقصودة ببحثه يمثل امورا يعلم الناس انها موجودة على وجوه مختلفة في الحضارة الانسانية السائدة ، وأنها ليست في طريق الزوال منها .

ويدور بحث الكتاب حول مجموعة اساسية من الصفات المسلكية الاجتماعية التي اعتبرها المؤلف جوهر الحضارة التي اتخذها موضوعا له ، والتي يرى أنها في طريق الزوال . وهذه الصفات التي يدعوها الكاتب« بالفضائل اللبنانية » هي مع الايجاز الكلي حسب تعبيره :

ا ــ كرم الضيافة
ب ــ النجدة (ويسمونها المعونة)
ج ــ القناعة
د ــ التقشف والصبر على المكاره
هـ ــ حسن الثقة والامانة
و ــ الصدقات السرية
ز ــ المصالحة وحسم المنازعات
ح ــ احترام كبير السن
ط ــ الاداب العامة

ونترك للقارىء هنا ان يتأمل في هذه المفاهيم . فهو ولا شك سوف يتساءل سؤالين : اولا ، ما الميزة التي تجعل هذه الصفات تميز حضارة معينة من الحضارات ؟ وثانيا ،الا يشترك في هذه الصفات جميع سكان القرى والارياف في اقطار العالم العربي ؟

والحقيقة ان المؤلف لم يبحث مدى العلاقة والتأثير المتبادل بين سكان جبل لبنان الاصليين وغيرهم من الوافدين اليه عبر التاريخ .

والنتيجة الحتمية التي يصل اليها القارىء في تساؤله هي اننا لسنا هنا بصدد حضارة معينة ، كما أننا لسنا بصدد شعب يستقل بشخصية متميزة .

واخيرا لا بد لنا من تكرار التنويه بأهمية الكتاب العلمية من حيث عرضه الفريد « للفولكلور » اللبناني القروي ؛ فهو من خير الاسس التي يصلح الاعتماد عليها للقيام بالدراسات الاجتماعية للبيئة القروية بلبنان .

محمد وهبي

قرية ظالمة

بقلم الدكتور محمد كامل حسين

*

هذا كتاب موضوعه غريب على تاريخ الفكر الاسلامي ، لانه يتناول يوم الجمعة الذي تم فيه الحكم على المسيح بالصلب ، يقول المؤلف : « ان الجريمة تمت فيما يتعلق بالانسان حين حكم على المسيح بالموت ، ولا ينقص من اثمها ان رفعه الله اليه » (قرية ظالمة للدكتور محمد كامل حسين ــ مطبعة مصر ــ صفحة ٧٥) . فالدكتور محمد كامل حسين يفرق بين الحكم على المسيح بالصلب ، وبين وقوع الصلب نفسه الذي لا يعترف به الاسلام .

ولقد عرض الفكر الاسلامي في تاريخه لهذا الحدث عند تعرضه للآيات القرآنية التي وردت في هذا الصدد ، ولكنه لم يؤلف المؤلفات الخاصة به . اما الدكتور محمد كامل حسين فكان اول مفكر اسلامي ــ على ما اعتقد ــ يفرد كتابا عن يوم الجمعة مستندا في أغلب ما كتب الى الاحداث والشخصيات كما روتها الاناجيل .

والكتاب مقسم الى ثلاثة اقسام : القسم الاول يتناول يوم الجمعة عند اعداء المسيح الذين كانوا يطالبون بموته وهم بنو اسرائيل ،والقسم الثاني يتناول يوم الجمعة عند الذين كانوا يؤيدونه ان خفية وان علانية وهم حواريوه او تلاميذه ، والقسم الثالث يتناول يوم الجمعة عند الذين لا يهمهم الا حفظ النظام في المستعمرة اليهودية وهم الرومان . وبذلك استوعب المؤلف الموقف من وجهاته الرئيسية الثلاث .

ويعرض المؤلف لهذه الاتجاهات من خلال الاحداث والشخصيات التي تعيش هذه الاحداث . وبعض هذه الشخصيات ورد ذكره في الاناجيل

صدر حديثا — عن منشورات مجلة شعر

نهر الرماد

لخليل حاوي

قصيدة في ثلاثة عشر نشيدا

الثمن ليرتان — يباع في جميع المكتاب

مثل لازار وقيافا والمجدلية وبيلاتوس ، وبعضها من ابتكار المؤلف مثل الحداد الذي صنع المسامير لتوضع في يدي المسيح عند صلبه ، ومثل راعية الاغنام التي جزعت عندما اظلمت الدنيا ساعة الصلب ، والجندي الروماني الذي احب المجدلية ، واصبح من اتباع المسيح بعد أن اصبحت عشيقته من اتباعه ، ومثل القائد الروماني الذي حكم على هذا الجندي بميتة شنيعة لانه اطاع ضميره المسيحي فعد خائنا من وجهة النظر الرومانية .

وقد بذل الدكتور محمد كامل حسين مجهودا مخلصا بحق ليعرض يوم الصلب هذا العرض الجديد الذي يستوعب كل الزوايا ،وساعرض سريعا للنقاط الاربع الرئيسية التي يقوم عليها الفهم المسيحي لدى المؤلف في قريته الظالمة . وهذه النقاط هي : فهمه لفكرة الخطيئة في المسيحية ، ثمفهمه للصراع بين الضمير والجماعة ، ثم دعوتهالسليمة وأخيرا دعوته الى فصل الدين عن الدولة .

فهناك اولا خطأ اساسي في فهم المؤلف لفكرة الخطيئة في المسيحية ، فهو يقول ان احجام الحواريين عن نصرة المسيح يوم الصلب هي التي حددت مبادىء المسيحية وفلسفتها . فليست فكرة التكفير والفداء ،وهذا الحزن الغالب على طبع كبار المتمسكين بالمسيحية وخوفهم من الخطايا وحبهم لتعذيب النفس وارهاقها ، واكبارهم خطيئة آدم ، وايمانهم انها اصل للعذاب الذي تعرض له المسيح لينقذ الانسانية من آثامها .. كل ذلك ليس الا صدى لخطيئتهم الكبرى حين تركوا المسيح لاعدائه (ص ١٣٥ ، ص ١٣٦) .

ويقول في موضوع آخر على لسان الحواريين « فنحن اذا انقذنا السيد المسيح انقذنا الانسانية كلها من عبء ستنوء به ابد الابدين » (ص ١١٦) .

ومع ذلك فان المؤلف نفسه يقرر ان الحواريين لميحجموا عن نصرة المسيح يوم الصلب بل نشا بينهم جدل طويل لم يحسمه الا دخول رسول اوفدوه الى المسيح يستطلع رأيه ، فاذا به يحمل رسالته اليهم وهي ان ينصرفوا الى العبادة والصلاة ، وان يتركوه حتى يتمم الله امره فيه « وهو يقول لكم انه سيلقاكم بعد ايام ثلاثة في قرية من قرى الجليل .. وهو يحذركم من العنف ويلومكم على ما بدا منكم يوم قبض عليه . » وذلك اشارة الى انه زجر احدهم لانه استل سيفه فاصاب به اذن جندي منهم كما يذكر المؤلف . ويعترف المؤلف ان هذه الرسالة احزنت الحواريين حزنا شديدا . فاين اذن كان احجامهم الذي بلغ اثره من الضخامة بحيث يصبح اصلا لفكرة الخطيئة في المسيحية ؟

ان الخطيئة في المسيحية هي خطيئة آدم الاولى حين عصى امر ربه، والمؤلف يدرك هذا حين يتحدث قائلا « لعل التوراة حين قالت عن آدم انه اول انسان لم تقصد الى انه اول من مشى على رجلين بل تعني انه اول من ادرك الخطيئة واول من احس باثر الضمير فاصبح بذلك انسانا ». ويقوم التفكير المسيحي على ان هذه الخطيئة تحتاج الى من يفديها ،أي انها تحتاج الى الموت الذي يكفر عنها ، وبهذا يصبح موت المسيح ـ طبقا للتفكير المسيحي ـ ضرورة لا بد منها لخلاص البشر ، ومن ثم فلا يمكن ان يكون احجام الحواريين عن انقاذه من الموت ـ ان كانوا قد احجموا ـ سببا لتضخم الاحساس بالخطيئة لدى المسيحيين .

وضرورة موت شخص ليخلص الآخرين ، فكرة قديمة موجودة عند كثير من الشعوب التي كانت تقدم ضحايا بشرية لترضي الآلهة وتدفع شرها عنهم ، كما كان يفعل المصريون القدماء كلما فاض النيل وأوشك ان يغرق البلاد . وما موت اوزوريس وتقطيعه اربا في انحاء مصر ليخصب تربتها الا صورة اخرى من هذه الصور . وقصة الفداء نفسها تتكرر في التوراة بصور مختلفة اهمها صورة الكبش الذي اوجده الله ليفدي به اسحق اواسماعيل من الذبح .

ولعل لموقف الاسلام من فكرة الصلب دخلا في فهم الدكتور المؤلف ، فالتفسير الاسلامي للآيات القرآنية التي وردت حول هذا الشانيستصعب وقوع الصلب على المسيح وان الله رفعه اليه وهذه معجزة من معجزات النبوة ، بعكس ما لو تحقق الصلب . ولهذا ، فعلى ضوء هذا الفهم الاسلامي لفكرة صلب المسيح يمكن ان يبرر تفسير المؤلف بان الاحجام عن نصرة المسيح يوم الصلب يعد خطيئة كبرى .

اما النقطة الثانية فهي أن المؤلف يحاول ان يوضح من خلال سطوره أن الصراع يوم الصلب كان صراعا بين الضمير الانساني وبين النظام قانون الجماعة . ويقول المؤلف «في ذلك اليوم اجمع بنو اسرائيل امرهم ان يطلبوا الى الرومان صلب المسيح ، ليقضوا على دعوته . وما كانت دعوة المسيح الا ان يحتكم الناس الى ضميرهمفي كل ما يعملون ويفكرون ، فلما عزموا ان يصلبوه لم يكن عزمهم الا ان يقتلوا الضمير الانساني ويطفئوا نوره » وفي موضع آخر يقول « ان اكبر الجرائم ترتكب في سهولة ويسر ، اذا وزعت توزيعا يجعل نصيب كلفرد اصغر من أن يضطرب له ضميره » كما يقول « أن الصالح العام لاخطر الاوثان واشدها ضررا حين يعبد فيطغى على اوامر الضمير » كما يقول ايضا « ان الجماعة لا ضمير لها » .

في المكتبات

وحبرتها

الديوان الجديد الرائع للشاعرة العربية المبدعة

فدوى طوقان

وفيه قصيدتها الطويلة المشهورة « هو وهي »

وقصائد وطنية وعاطفية مختلفة

منشورات دار الآداب

ص.ب. ٤١٢٣

أما انالصراع كان بين الضمير الانساني ونظام الجماعة فهذا حق ،ولكن المؤلف لم يبين لنا لماذا كان المسيح يمثل الضمير ولماذا كان اليهود يمثلون العنصر الذي من شأنه ان يطفىء نور هذا الضمير ، والكتاب مليء بالتأملات الفلسفية ، فليس من الغريب على اسلوبه ان يوضح مؤلفه ذلك لانه لا يستعرض صراع الاحداث والاشخاص فقط بل وصراع الافكار ايضا .

والواقع اننا اذا قارنا بين الديانتين المسيحية واليهودية نجد أن المسيحية تمثل ديانة الفرد في مقابل اليهودية التي تمثل ديانة الجماعة او القبيلة .

ويشير المؤلف الى هذا التصادم بين الديانتين وآثاره في اكثر من موضع فهو يتحدث على لسان رجل الاتهام فيقول « ان الخير والشر واضحان وضوحا لا ريب فيه حين تتحدث عنهما التوراة ، وكنت احسبهما لا يختلطان ، ولكن لم اعد اتبينهما على ما كنت اعهد من وضوح » ص ٢٣

ويقول قيافا عن المسيح « انه لم يؤذ اي فرد من بني اسرائيل،ولن يؤذيه اي فرد منهم ، ولكن يؤذي اسرائيل ، وجماعتهم هي التي ستنتقم منه وان كره كل واحد منهم ان ينتقم منه بنفسه » ص ٥٦ . والمؤلف في هذه الجملة واضح في فهمه للديانة اليهودية انها ديانة الجماعة وأن المسيحية تهديد لهذه الديانة بهذا الاعتبار . ويستطرد قيافا قائلا عن المسيح ، « وهو انما ذهب بالايمان خطوة ابعد مما ذهب اليه موسى في شريعته ، وما ارى ذلك كفرا بل هي سنة الله في الرقي » ص ٦١ ، ولكن رأي قيافارأي فرد ، لم يكن يعبر عن رأي اليهود كجماعة .

في المكتبات

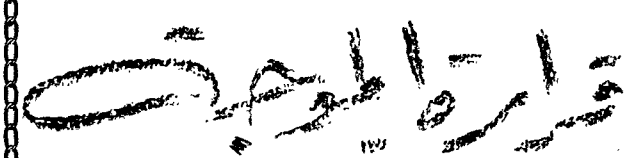

للشاعرة العربية المبدعة

نازك الملائكة

منشورات

دار الآداب

بيروت ص.ب. ٤١٢٣

فالمسيحية اولا دين المحبة ، والمحبة هي التي تسود حين يحترم الفرد اخاه الفرد ، اما اليهودية فهي دين الثأر (سن بسن وعين بعين ويد بيد ورجل برجل) والثأر قانون القبيلة . يقول المؤلف على لسان احد ابطاله « الله هو الحب » رأي لا يضع من قدر الله ولكنه يرفع من قدر الحب. ان اله اليهود جبار هائل ، وقد يكون مصدر خير او شر . ولكن اله هذا الرجل لا يكون الا خيرا » ص ١٥ ، وها هوذا ابن المفتي يقول عن المسيح « أيجوز لهذا الرجل ان يرتفع فوق ما أمرنا به سبحانه وتعالى . انه يأمر رجاله ان يحبوا اعداءهم ، ونحن وان كنا أسلم عقلا من انستمع الى هذا الكلام الخلاب لا نستطيع ان نسكت عنه ، فان فيه القضاء التام على بني اسرائيل » ص ٣٢ ، ومعنى هذا الكلام بتعبير آخر ان في المحبة قضاء على قانون الثأر .

وقد احترمت المسيحية ايضا فردية المرأة ، فيقول المؤلف « وأنكر قيافا انكارا تاما ما حكم به صاحب الدعوة الجديدة في امر المرأة التيأراد الناس ان يرجموها » ص ٥٥ لانه اعتبر هذا تهجما صريحا على اوامر الله ، وما كان انكار قيافا لذلك اللون من التفكير الا انكار الديانة التي لا تحترم الا الجماعة للديانة التي تحترم الفرد . فقد منع المسيح بالزواج اكثر من واحدة ومنع الطلاق الا لعلة من الطرفين ، بعد ان كان يباحلليهود الزواج بأي عدد من النساء وتطليقهن لاي سبب كان .

وفي المسيحية : كما في الاسلام ـ نجد ان كل فرد يحمل تبعة اعماله في الحياة الاخرى حيث الجنة والنار ، اما في اليهودية فالمسؤولية جماعية والعقاب دنيوي ـ ولكي نوضح ذلك نورد ما جاء في سفر يشوع الاصحاح السادس عند سقوط أريحا مثلا « احرقوا المدينة مع كل ما بها . انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب » لهذا نجد انه من الخيانة في هذا النظام ان يأخذ الانسان شيئا لنفسه كما فعل عافان بن كرمى بن زبدى بن زارح عندما قال « رأيت في الغنيمة رداء شنعاريا نفيسا ومائتي شاقل فضة ولسان ذهب وزنه خمسون شاقلا فاشتهيتها وأخذتها وها هي مطمورة فيالارض وسط خيمتي والفضة تحتها » فعد ذلك مخالفة للاوامر وخيانة منه ، ولم تقع المسؤولية عليه وحده بل استحق ان يرجم هو وبنوه وبناته وبقره وحميره وغنمه وكل ما له . وكما كانت المسؤولية جماعية كان العقاب كذلك دنيويا ، فالله ينتقم من الاباء في الابناء ، والاباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون ، والثواب ايضا دنيوي (وأكثر نسلك حتى يصبح كنجوم السماء ومال البحر واكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض) وقد لا يعلم الكثيرون ان الجنة والنار لم يرد ذكرهما اطلاقا في الاسفار الخمسة الاولى والاساسية في التوراة ، ووجودهما في ديانة ما معناه ان الفرد يتحمل عبء اعمالهحتى في حياته الاخرى .وهذه فكرة ظهرت عند كل الجماعات المستقرة كما حدث في مصر الفرعونية .

كذلك نجد ان الدين اليهودي كان قبليا ـ او هكذا كان مظهره أي ان للجنس علاقة وثيقة بالدين ، وقد ينضم الى اتباعه بعض الاجانب عنه ، ولكن ليس عن طريق الدعوة والتبشير بل عن طريق المجاورة او المصاهرة او الظروف الخاصة . اما المسيحية فجاءت ـ كما جاء الاسلام ـ ديانة تبشيرية تخاطب الافراد بغض النظر عن جنسياتهم وقبائلهم . يقول احدهم في احد فصول قرية ظالمة تحت عنوان « في دار الندوة » أن حب الوطن فضيلة لا ينكر احد قدرها ، ولكنها ليست غاية الفضائل في هذا الباب . ان حب الوطن طور من اطوار الرقي الاجتماعي . فالرجل يبدأ محبا لنفسه ثم يتبين أن في حبه لاسرته وحمايته لها ما يجلب له النفع

ويمنع عنه من الاذى ما لا يستطيع وحده ، فتنشأ فيه عاطفة التضحية بنفسه في سبيل اسرته ، ثم يتبين ان حبه لقبيلته او مدينته انفع ، ثم يتبين له ان حب الوطن والدفاع عنه انفع .. الا أن هذا ليس خاتمة المطاف ، بل سيأتي يوم يكون فيه النظام الاجتماعي كافيا لاقناع الناس ان حب الانسانية والدفاع عنها اجدى على الوطن من حب الوطن وحده. وقد يكون هذا الرجل اول من بلغ هذه الدرجة من الرقي الخلقي (يقصد بذلك المسيح) ثم يستطرد قائلا « على اني لا اكتمكم اني لا استريح الى اخذ بني اسرائيل بهذا المذهب الذي يضع الانسانية فوق الوطن » ثم يبرر المتكلم الاسرائيلي هذا الراي بانه قد يكون بسبب محنة بني اسرائيل الذي جعلتهم ضعافا اذلاء في بلادهم ، وقد يكون ضعفا منه ، فهو مقتنع بالتطور الجديد عقلا لكنه لا يؤمن به عقيدة (صفحات ٧١ و ٧٢) وهكذا نجد ان مؤلف (قرية ظالمة) قد تنبه الى هذا الفرق بين الدياتين والى المعركة النفسية التي يمكن ان تدور في نفسية هذا التطور .

وأهم ثورة للمسيحية على اليهودية هي انها نقلت العبادة من المظاهر والمراسيم الى اعماق النفس ومن عالم الحس الى عالم الضمير ،«بماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ » لهذا كان من المنطقي ان تصطدم هذه التعاليم التي تعطي للفرد كيانه وحقهفي الوجود، بالتعاليم التي لا تعترف بقانون غير قانون الجماعة او القبيلة ، وكان طبيعيا ان يقع الصدام بين المسيح الذي يمثل الاهتمام بالفرد وبضمير الفرد حتى قيل انه ابو الرومانسية ، وبين اليهود الذين يؤمنون بديانة المجموع وديانة« شعب الله المختار ».

وليست الموعظة على الجبل ، وهي التي عقد لها المؤلف فصلا كاملا بعنوان « عود الى موعظة الجبل » ليست الا نقلا للعبادة من المظاهر والحس الى عالم الضمير ، فقد جاء فيها « سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن ، اما انا فاقول من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى في قلبه .. سمعتم انه قيل للقدماء لا تقتل اما انا فاقول لكم لا تغضبوا .

*

والموعظة على الجبل تفضي بنا الى دعوة السلام التي يدعو اليها المؤلف لا لانه بصدد الكلام عن المسيحية فقط بل لانه يؤمن بها فعلا موضحا ان الحرب لا تعود بالفائدة الا على قلة معينة ، فيقول ان الجندي الفاتح لا يتمتع بالسيادة الى ساعة الفتح حين تعم الفوضى ، ثم يعود الى حاله الاولى فلا يسود احدا مما لم يكن يسودهم من قبل ، ويصبح المجد مجد عشرة او عشرين من اهل روما . وصد الاعتداء ان يوجد الجندي خارج حدود بلاده ليحارب قوما آمنين في ديارهم .

ولا شك ان الكاتب يشير من خلال حديثه عما وقع يوم الجمعة منذ الفين من السنين الى مشاكل الحرب والسلام التي يواجهها العالم اليوم ، ويتخذ موقفه الى جانب السلام في وضوح .

« وليست احداث ذلك اليوم من ابناء القرون الاولى بل هي نكبات تتجدد كل يوم ، في حياة كل فرد فالناس ابدا معاصرون لذلك اليوم المشهود وهم ابدا معرضون لما وقع فيه اهل اورشليم حينذاك من اثم وضلال » ص ٣

*

ومرة اخرى نجده يشير الى مشاكل اليوم من خلال حديثه عما وقع منذ الفين من السنين ، وذلك حين يتحدث عن وجوب فصل الدين عن الدولة ، تلك الدعوة التي نادى بها المسيح حين قال « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ولو ان الدول المسيحية لم تعمل بتلك الدعوة فيما بعد . ونحن نجد المؤلف يتحمس بدوره الى هذا الفصل بين الدين والدولة فيقول « ان الذين يدعمون النظام بالدين يخطئون في حق الدين، ان النظام من عمل الانسان وهو ناقص وخاضع للتطور ولا يجوز ذلك على الدين ، ومن حمل السلاح او آذى الناس دفاعا عن الدين فقد وضع الدين فوق الله الذي يامر بالحب لا بالقتل ، والله كفيل بحفظ دينه وليس في حاجة الى عبيد خاطئين ينقذونه ، وليس لاحد من العصمة ما يجعل رأيه في زيغ العقيدة صوابا لا ياتيه الباطل الى حد يسوغ فيه القتل . ان الذين يدافعون عن الدين بايذاء الناس انما يدافعون عن رأيهم وحدهم ، بل اكثرهم يدافع عن حقوقه ومزاياه ، ويتخذ الدفاععن العقيدة عذرا يعتذر به . ومن يعبد الدين نفسه عبادة تحمله على ان يتخطى حدود الضمير فيؤذي الناس في سبيل حماية الدين يكون قد اشرك بالله » . وهكذا يرى المؤلف ان الدعوة الى الدين يجب ان تكون على ان الدين ايمان وليس على ان فيه صلاحا لامور الناس الدنيوية«لان الدين يحكم الضمير ، والجماعة لا ضمير لها وانما يؤثر الدين في النظم والجماعات وسياستها على طريقة غير مباشرة ، فهو يؤثر في الجماعة حين يؤثر في الافراد » .

ولا شك ان كتاب « قرية ظالمة » هو اقرب الى العمل الفكري منه الى العمل الادبي اذا كنا نحدد الابداع الادبي بالقصيدة والقصة والمسرحية، ولا شك ان ثقافتنا العربية في حاجة الى المفكر حاجتها الى الاديب وكتاب « قرية ظالمة » لون من الوان هذه الكتب التي تثير مسائل فكرية لدى قرائها ، ولم يكن ما اثاره لدي من مسائل الفكر المسيحي الا احد الجوانب الفكرية الكثيرة التي يمكن ان يثيرها مثل هذا الكتاب .

القاهرة — **يوسف الشاروني**

معجم البلدان

لياقوت الحموي

*

هذا الكتاب هو عندي ـ وكما سمعت من اهل الدراية ـ اهم كتب ياقوت . وهي كتب كثيرة ظهر عليها جميعا كتابه معجم الادباء وسبقها بالشهرة وبعد الصيت وان كان لم يبلغ في خطره وشأنه مبلغ معجم البلدان .

وخطر معجم البلدان انه كتاب جاءت فيه كل خطوة بقياس . ووردت مسائله في كل علم بصبر ودقة . وزادت طرائفه وتحفه على كثير مما جمع مؤلف غير ياقوت من تحف وطرائف .

وقد جرى وراء العلم المجموع فيه رجل حر له نفس كريمة . ذاقت نفسه العبودية والرق فبحث عن التحرر

والانطلاق في خطى حثيثة ظلت زمنا تعتسف فجاج الارض لتصل الى شاطيء فيه طمأنينة . ودابت تبذل الصبر المضني والعزم الصارم لتجد راحة بعد الم ويسرا بعد معسرة .

ثم جاء كتاب معجم البلدان في اثر القراءة والرؤية والسماع في الاقامة والرحلة جامعا لمحاسن كثيرة لا تعد ادت اليها كل تلك الوسائل . فكان اسبق كتب العرب جميعا في بابه وفي جميع ابوابه .

كتبه ودون حروفه ومسائله عبد روحي اصطنع لسانه العربية فكان افصح بكثير من اهلها رفاهية قلم ودقة وصف ونبوغ شعر . ولكن اثرة الزهو جعلته ضنينا بكتابه على المتأدبين والمتعلمين في زمانه فلم يعرضه عليهم لينفرد بلذته حيا لانه ايقن انه سلك فيه طريقا لم يستطعه الاوائل ولم تطق حمل مثله الكواهل .

وقد حق لهذا العبد الذي غلب الاحرار ان يعجب بنفسه وكتابه فقد تبين انه جمع فيه ما كان لا يجتمع الا بجهود كثيرة من الرجال . ولكن دوام الترحل ووفرة الصبر وطول العمر — كل هذه ابلغته ما اراد ثم ابلغتنا منه ما لم نكن نجده لو لم يرزق ياقوت ما رزق من موهبات وصفات .

*

واذا نقل اليك مؤرخ حوادث الدنيا القديمة فان ياقوت ينقلها اليك جميعا او ينقلك اليها حتى كأنك تعيش مع اهلها على ارضهم وتشرب ماءهم وتستروح هواءهم . وبيئة المكان كله ينقلها اليك ياقوت : المكان الهامد والحياة المتحركة فوقه : والماء والخصب والعطش والجدب . والهواء جيده وخامله . والمسافات بين البلدان بمقاييس الزمان والمكان . وحياة البلد وسكانه وادبه وتاريخه وفقهه — كل ذلك ينقله اليك ياقوت كأنك تعاينه وتشعر به وتقيسه وتعيش في ارجائه ويريك دولاب الدنيا القديمة كيف دار وتنقل وكيف تحرك وسكن . ويهديك الى سير وأقاصيص قد لا تجد قبسا منها في اضخم التآليف وعند اذكى المؤلفين .

وقد استمسك ياقوت باللغة الفصحى في تعبيره . وكان اللسان في طاعته . ولم يكن له بد لانه تعرض لادب العربية وفقهها ورجالها وتاريخها وكان بكل ما تعرض له منها معجبا مفتونا . فبرع في اللغة شعرها ونثرها وخلص الى جواهرها وطرائفها ونشر كثيرا من مكنوناتها وأسرارها .

ولم يضق صدر ياقوت او يتحزب للكبار دون الصغار ولا لبلد دون بلد ولكنه اعطى كل حزب حقه ووضع كل فرد عند شأنه ومكانه . فحفل كتابه — او حفلت كتبه — بصورة كاملة جامعة اخذ كل كائن منها ركنه الذي خلق له وتحرك بالحياة فيه .

وقد استقصى ياقوت فأورد بعض ما تأباه العقول وكان هو مرتابا فيه نافرا منه ولكنه اراد ان يجمع كل الفوائد احرازا لها وحرصا عليها . فان ثبت انها كانت حقا فقد اخذ منها علمه بنصيب وان ثبت انها كانت باطلا فالباطل ليس عن هذه الحياة بغريب .

*

هذا الكتاب الذي تحدثت عنه هذا الحديث لم يكن له حظ الشيوع بين الناس كما شاء له صاحبه من بعده او كما كان يشاء الادباء والمطلعون . لان الكتاب ظل مخزونا ثم طبع طبعات قليلة فلم يظفر به الا القليل . ثم اقبل زمننا بما اقبل به من غض لشأن القديم فالتفتت المطابع عن معجم البلدان وكف الناشرون عن بذل المال وصد طلاب العلم ورواده عن الاطلاع . ولكن الله فتح قلوب الناشرين في بيروت للخير والمنفعة فساق الى هذا الكتاب — والى امثاله من الكتب — داري نشر فاضلتين لم تبقيا على مال ولم تمنعا برا ولا نفعا هما دار بيروت ودار صادر فوفرتا المال واقبلتا على طبع الكتاب ونشرتاه على الناس .

وحسب كل مغرم بالعربية كلف بالاطلاع على فرائدها ان يجد معجم البلدان الان في كل مكتبة وكل بلد فيسد رغبته للعلم من قريب وبثمن زهيد .

ولو صح لي ان ادعو كل طالب علم لاقتنائه لدعوت وثنيت دعوتي وأعليت صوتي وما قصدت الا الخير وسواء السبيل .

بيروت — **عبد العزيز سيد الاهل**

دار صادر و دار بيروت

تقدمان

نوادر المخطوطات

سلسلة تحتوي على كنوز التراث العربي

تصدر بتحقيق علمي دقيق ، ونهج موحد ، وطباعة زاهية انيقة يشترك فيها كبار المحققين في البلاد العربية

يصدر قريبا الكتاب الاول « الائمة الاثنا عشر »